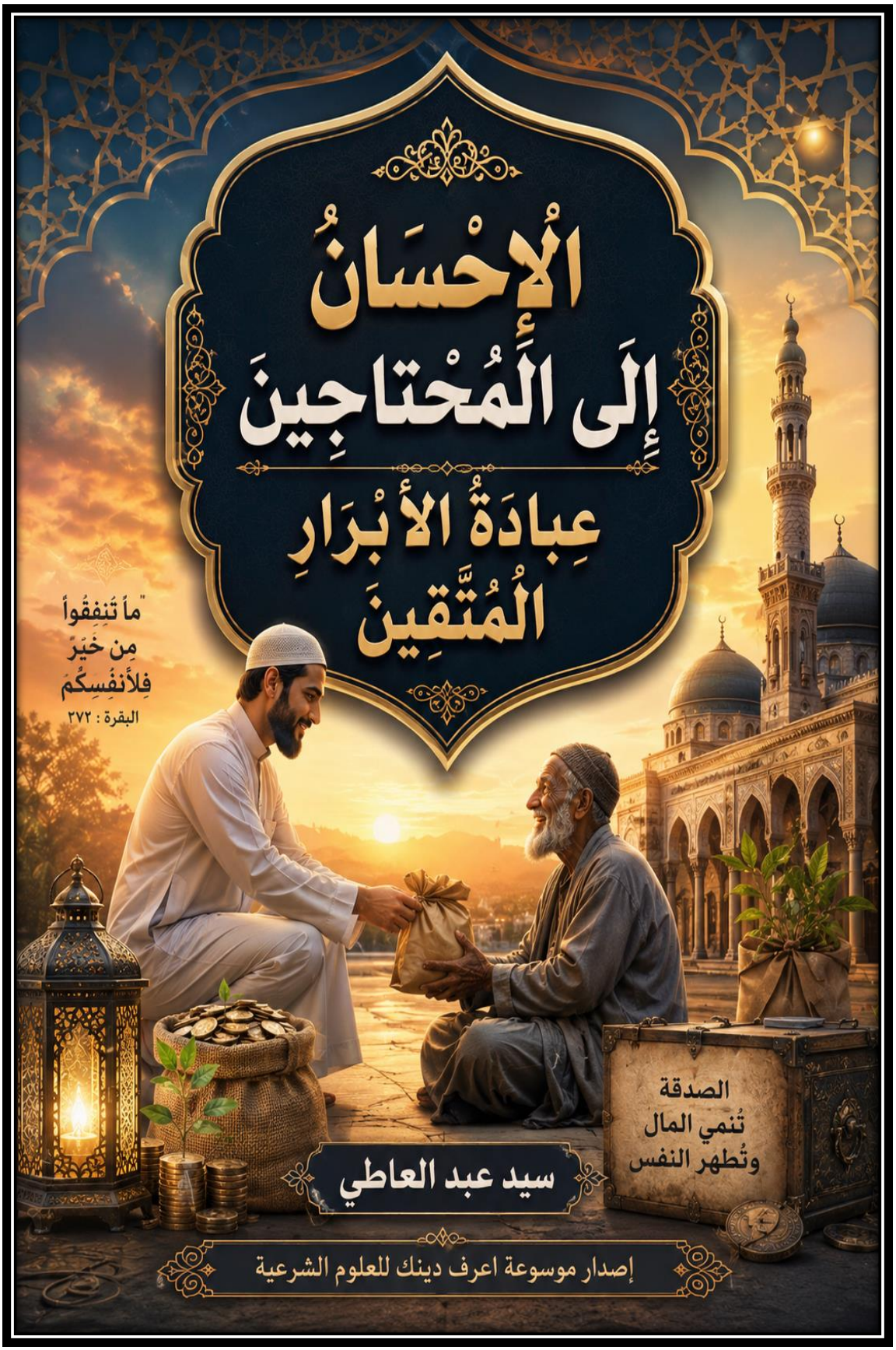
الْإِحْسَانُ
إِلَى الْمُحْتاجِينَ
عِبادَةُ الأَبْرَارِ
الْمُتَّقِينَ
"ما تُنفِقُوا
مِن خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ
البقرة : ٢٧٢
الصدقة
تُنمي المال
وتُطهر النفس
سيد عبد العاطي
إصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ المَنَّانِ، ذِي العَطَاءِ وَالإِحْسَانِ، خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، وَأَجْزَلَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ لِيَشْكُرُوهُ، وَأَنَارَ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ بِالقُرْآنِ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ، وَلَهُ الحَمْدُ عَلَى نِعْمَةِ الإِيمَانِ وَالقُرْآنِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الوَاحِدُ الدَّيَّانُ، تَعَالَى بِمَجْدِهِ وَتَقَدَّسَ بِكِبْرِيَائِهِ، وَهُوَ الكَرِيمُ الرَّحْمَنُ.

أَمَّا بَعْدُ:

• فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ حَوْلَ خُلُقٍ كَرِيمٍ مِنْ أَخْلَاقِ الأَبْرَارِ المُتَّقِينَ، إِنَّهُ خُلُقُ الإِحْسَانِ لِلفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ، عَنَّوَنْتُ لَهَا بِهَذَا العُنْوَانِ { الإِحْسَانُ إِلَى المُحْتَاجِينَ عِبَادَةُ الأَبْرَارِ المُتَّقِينَ } فَأَقُولُ مُمَهِّدًا:

• إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ فَاوَتَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، لِيَسْتَخْرِجَ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ أَنْوَاعًا مِنَ العِبَادَةِ، فَعِبَادَةُ الغَنِيِّ الشُّكْرُ وَعِبَادَةُ الفَقِيرِ الصَّبْرُ، وَاخْتِيَارُ اللهِ لِعَبْدِهِ هُوَ الخَيْرُ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُقَدِّرُ بِعِلْمٍ وَبِرَحْمَةٍ وَبِحِكْمَةٍ، فَبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يُفْسِدُهُ المَالُ، وَيُطْغِيهِ الغِنَى، فَاقْتَضَتْ رَحْمَتُهُ وَلُطْفُهُ أَنْ يُبْقِيَهُ فَقِيرًا، فَهَذَا خَيْرٌ لِلعَبْدِ مِنْ غِنَاهُ مَعَ فَسَادِهِ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ يُفْسِدُهُ الفَقْرُ وَيُقَنِّطُهُ فَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِ وَلُطْفِهِ أَعْطَاهُ المَالَ وَالغِنَى قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ }.(الزُّخْرُف: ٣٢).

–قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي تَفْسِيرِهَا:{ قَالَ اللَّهُ رَدًّا لِاقْتِرَاحِهِمْ: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ } – أَيْ: أَهُمُ الخَزَنَةُ لِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَبِيَدِهِمْ تَدْبِيرُهَا، فَيُعْطُونَ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ مَنْ يَشَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَهَا مِمَّنْ يَشَاءُونَ؟ { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } – أَيْ: فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالحَالُ أَنَّ رَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الدُّنْيَا. فَإِذَا كَانَتْ مَعَايِشُ العِبَادِ وَأَرْزَاقُهُمُ الدُّنْيَوِيَّةُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي يَقْسِمُهَا بَيْنَ عِبَادِهِ، فَيَبْسُطُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ، فَرَحْمَتُهُ الدِّينِيَّةُ، الَّتِي أَعْلَاهَا النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ، أَوْلَى وَأَحْرَى أَنْ تَكُونَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. فَعُلِمَ أَنَّ اقْتِرَاحَهُمْ سَاقِطٌ لَا غٍ، وَأَنَّ التَّدْبِيرَ لِلأُمُورِ كُلِّهَا، دِينِيِّهَا وَدُنْيَوِيِّهَا، بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ }.

• تَبْصِرَةٌ:

–إِنَّ تَوْفِيقَ اللهِ لِلعَبْدِ عَلَى أَمْرِ الدَّعْوَةِ لِهَذَا الدِّينِ لَهُوَ دَلِيلُ مَحَبَّةٍ وَاصْطِفَاءٍ، وَإِكْرَامٍ وَاجْتِبَاءٍ، فَهَنِيئًا لِمَنِ اصْطَفَاهُ رَبُّهُ، وَاخْتَارَهُ مَوْلَاهُ.

–مَنْ عَلِمَ أَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ، وَأَنَّ الأَجَلَ مَحْتُومٌ، أَسْلَمَ قِيَادَ أَمْرِهِ كُلِّهِ للهِ جَلَّ جَلَالُهُ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُنِيبًا إِلَيْهِ.

–رَحْمَةُ اللهِ لَا تُوْهَبُ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَلَا تَشْمَلُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ لَهَا، وَهِيَ خَيْرٌ وَأَجَلُّ وَأَرْفَعُ وَأَعْظَمُ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَبَهَارِجِهَا.

–وَفِيمَا أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٩٩٩) مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ الرُّومِيِّ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ }.

• شَرْحُ الحَدِيثِ:

-الصَّبْرُ مِنَ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالخِصَالِ النَّبِيلَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا وَبَيَّنَ فَضْلَهَا.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ }؛ فَأَظْهَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العَجَبَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِحْسَانِ لِشَأْنِ المُؤْمِنِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحْوَالَ المُؤْمِنِ كُلَّهَا فِيهَا خَيْرٌ... فَالمُؤْمِنُ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرًا.

• ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ الخَلْقَ وَقَدَّرَ الأَقْوَاتَ بِحِكْمَتِهِ، وَهَدَى الخَلْقَ لِمَا يَنْفَعُهُمْ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَشَرَعَ الأَسْبَابَ وَالسَّعْيَ وَالتَّكَسُّبَ وَالجِدَّ فِي تَحْصِيلِ مَا يَنْفَعُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَجَاحِ تِلْكَ المَسَاعِي.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٦٦٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ }.

• شَرْحُ الحَدِيثِ:

-جَاءَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِتَعَالِيمَ نَافِعَةٍ، وَوَصَايَا جَامِعَةٍ، تَبُثُّ فِي المُسْلِمِ الأَمَلَ وَالشَّجَاعَةَ وَالقُوَّةَ.

-وَيُوصِي النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المُسْلِمَ بِقَوْلِهِ: { احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ } يَعْنِي: بِالأَخْذِ بِالأَسْبَابِ، وَمَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ اعْتَمِدْ عَلَى مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

-ثُمَّ يَنْهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ العَجْزِ، وَالمُرَادُ بِهِ هُنَا: الكَسَلُ...

-فَمَنْ عَمِلَ بِتِلْكَ الوَصِيَّةِ ثُمَّ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ، فَلَا يَقُلْ: { لَوْ } فَإِنَّهَا تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ مِنَ التَّأَسُّفِ عَلَى مَا فَاتَ.

-وَفِي الحَدِيثِ: الأَمْرُ بِفِعْلِ الأَسْبَابِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ.

-وَفِيهِ: التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَدَرِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِيهِ: أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الخَيْرِيَّةِ، وَمَحَبَّةِ اللهِ وَالقِيَامِ بِدِينِهِ، وَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ دَرَجَاتٌ.

• وَمِنَ الحِكَمِ فِي تَفَاوُتِ حَالِ النَّاسِ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى:جِدُّ بَعْضِهِمْ وَمَهَارَتُهُ فِي التَّكَسُّبِ، وَخُمُولُ بَعْضِهِمْ وَكَسَلُهُ، وَمِنْهَا تَسْخِيرُ بَعْضِ العِبَادِ لِبَعْضِ المِهَنِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ البَعْضُ مُزَاوَلَتَهَا، فَأَغْنَى اللهُ بَعْضَ النَّاسِ وَأَفْقَرَ بَعْضًا لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا، وَمِنْ أَسْبَابِهِ تَقْوَى اللهِ وَالبُعْدُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ عُمُومًا وَلَا سِيَّمَا فِي وَسَائِلِ الكَسْبِ، وَمِنْهَا كَذَلِكَ أَنَّ الفَقْرَ قَدْ يَكُونُ أَصْلَحَ لِبَعْضِهِمْ مِنَ الغِنَى، وَالعَكْسُ صَحِيحٌ، وَمِنْهَا ابْتِلَاءُ الغَنِيِّ فِي غِنَاهُ هَلْ يَشْكُرُ، وَابْتِلَاءُ الفَقِيرِ هَلْ يَرْضَى وَيَصْبِرُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(الأنعام:١٦٥).

، أَيْ: وَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ تَخْلُفُونَ مَنْ سَبَقَكُمْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَاسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا؛ لِتَعْمُرُوهَا بَعْدَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فِي الرِّزْقِ وَالقُوَّةِ

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا أَعْطَاكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، فَيَظْهَرَ لِلنَّاسِ الشَّاكِرُ مِنْ غَيْرِهِ. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَتَابَ مِنَ المُوبِقَاتِ، رَحِيمٌ بِهِ، وَالغَفُورُ وَالرَّحِيمُ اسْمَانِ كَرِيمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى.

• تَبْصِرَةٌ:

–مَا جَعَلَ اللهُ العِبَادَ خَلَائِفَ إِلَّا وَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِإِذْهَابِ غَيْرِهِمْ، وَأُخْرَى بِإِنْشَائِهِمْ، وَذَلِكَ مُوجِبٌ لِلشُّكْرِ، مُحَذِّرٌ مِنَ الكُفْرِ.

–اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تَبَايُنَ النَّاسِ فِي الدَّرَجَاتِ؛ لِيَحْصُلَ التَّمَايُزُ فِي التَّصَرُّفَاتِ، وَيَخْدُمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي تَحْصِيلِ مَصَالِحِ الحَيَاةِ، وَلِيَجْرِيَ بِذَلِكَ ابْتِلَاءُ العَبْدِ بِمَا أُعْطِيَ، فَيَظْهَرَ المُطِيعُ مِنَ العَاصِي.

–طُرُقُ تَأَثُّرِ العِبَادِ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِالتَّرْغِيبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِالتَّرْهِيبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْجَعُ مَعَهُ كِلَاهُمَا؛ فَلِذَلِكَ سَلَكَ القُرْآنُ المَسَالِكَ كُلَّهَا.

• هَذَا وَلْيُعْلَمْ أَنَّ إِغْنَاءَ هَذَا وَإِفْقَارَ هَذَا لَا يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى تَكْرِيمِ الغَنِيِّ وَلَا إِهَانَةِ الفَقِيرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ }.(الفجر: ١٥–١٧).

–أي:فَأَمَّا الإِنسَانُ فَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ إِذَا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ وَأَكْرَمَهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالمَالِ وَالأَوْلَادِ وَالجَاهِ، ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِكَرَامَةٍ لَهُ عِنْدَ اللهِ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِي لِاسْتِحْقَاقِي لِإِكْرَامِهِ.

–وَأَمَّا إِذَا اخْتَبَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَإِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِهَوَانِهِ عَلَى رَبِّهِ فَيَقُولُ: رَبِّي أَهَانَنِي.

-لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَذَا الإِنسَانُ، بَلِ الإِكْرَامُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالإِهَانَةُ بِمَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتُمْ لَا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ، وَلَا تُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَهُ، وَلَا يَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى إِطْعَامِ المِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ حُقُوقَ الآخَرِينَ فِي المِيرَاثِ أَكْلًا شَدِيدًا، وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًّا مُفْرِطًا.

• فَالحِكْمَةُ إِذَنْ هِيَ الابْتِلَاءُ وَاسْتِخْرَاجُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ العُبُودِيَّةِ، فَعِبَادَةُ النِّعْمَةِ الشُّكْرُ بِخُضُوعِ القَلْبِ لِلمَشْكُورِ ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ ، وَاعْتِرَافِهِ لَهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا، وَاسْتِخْدَامِ النِّعْمَةِ فِيمَا يُرْضِي الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا، وَعِبَادَةُ المَنْعِ الصَّبْرُ بِحَبْسِ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ، وَحَبْسِ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسِ الجَوَارِحِ عَنِ الاعْتِرَاضِ.

• بَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي المَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ:

• أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الإِحْسَانِ:

(أ) الإِحْسَانُ لُغَةً:

-جَاءَ فِي (تَهْذِيبِ اللُّغَةِ) لِلأَزْهَرِيِّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: ١٨٢/٤: { الإِحْسَانُ ضِدُّ الإِسَاءَةِ، وَهُوَ فِعْلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَهُوَ مَصْدَرُ أَحْسَنَ، أَيْ: جَاءَ بِفِعْلٍ حَسَنٍ، وَيُقَالُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ، كَقَوْلِكَ: أَحْسَنْتُ كَذَا: إِذَا حَسَّنْتَهُ وَكَمَّلْتَهُ. وَثَانِيهِمَا: مُتَعَدٍّ بِحَرْفِ جَرٍّ، كَقَوْلِكَ: أَحْسَنْتُ إِلَى كَذَا، أَيْ: أَوْصَلْتُ إِلَيْهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ }.

(ب) الإِحْسَانُ شَرْعًا:

-قَالَ الكَفَوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِ (الكُلِّيَّاتِ) ص: ٥٣: { الإِحْسَانُ: هُوَ فِعْلُ مَا يَنْفَعُ غَيْرَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ الغَيْرُ حَسَنًا بِهِ، كَإِطْعَامِ الجَائِعِ، أَوْ يَصِيرُ الفَاعِلُ بِهِ حَسَنًا بِنَفْسِهِ }.

-وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي "بَهْجَةِ قُلُوبِ الأَبْرَارِ" ص: ١٤٢: { هُوَ بَذْلُ جَمِيعِ المَنَافِعِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ، لِأَيِّ مَخْلُوقٍ يَكُونُ }.

- وَالإِحْسَانُ أَحَدُ مَرَاتِبِ الدِّينِ الثَّلَاثِ: الإِسْلَامُ وَالإِيمَانُ وَالإِحْسَانُ وَقَدْ عَرَّفَهُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَمَا سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الحَدِيثِ المَشْهُورِ

فَقَالَ: { أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، فَقَالَ: الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: ٨ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-].

• ثَانِيًا: الإِحْسَانُ إِلَى الفُقَرَاءِ فِي القُرْآنِ:

-وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَحُثُّ عَلَى الإِحْسَانِ لِلفُقَرَاءِ عَلَى مَائِدَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ }.(البقرة: ٨٣).

-قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِهَا: { وَهَذِهِ الشَّرَائِعُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى المَصَالِحِ العَامَّةِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَلَا يَدْخُلُهَا نَسْخٌ، كَأَصْلِ الدِّينِ، وَلِهَذَا أَمَرَنَا بِهَا فِي قَوْلِهِ: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

فَقَوْلُهُ: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } هَذَا مِنْ قَسْوَتِهِمْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ أُمِرُوا بِهِ، اسْتَعْصَوْا؛ فَلَا يَقْبَلُونَهُ إِلَّا بِالأَيْمَانِ الغَلِيظَةِ، وَالعُهُودِ المُوَثَّقَةِ { لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } هَذَا أَمْرٌ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَنَهْيٌ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا أَصْلُ الدِّينِ، فَلَا تُقْبَلُ الأَعْمَالُ كُلُّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَسَاسُهَا، فَهَذَا حَقُّ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ قَالَ: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } - أَيْ:

أَحْسِنُوا بِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَهَذَا يَعُمُّ كُلَّ إِحْسَانٍ قَوْلِيٍّ وَفِعْلِيٍّ مِمَّا هُوَ إِحْسَانٌ إِلَيْهِمْ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الإِسَاءَةِ إِلَى الوَالِدَيْنِ، أَوْ عَدَمِ الإِحْسَانِ وَالإِسَاءَةِ، لِأَنَّ الوَاجِبَ الإِحْسَانُ، وَالأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ.

-وَلِلْإِحْسَانِ ضِدَّانِ: الإِسَاءَةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ جُرْمًا، وَتَرْكُ الإِحْسَانِ بِدُونِ إِسَاءَةٍ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ، لَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ يُلْحَقَ بِالأَوَّلِ، وَكَذَا يُقَالُ فِي صِلَةِ الأَقَارِبِ وَاليَتَامَى، وَالمَسَاكِينِ، وَتَفَاصِيلُ الإِحْسَانِ لَا تَنْحَصِرُ بِالعَدِّ، بَلْ تَكُونُ بِالحَدِّ، كَمَا تَقَدَّمَ.

-ثُمَّ أَمَرَ بِالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عُمُومًا فَقَالَ: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } وَمِنَ القَوْلِ الحَسَنِ أَمْرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ المُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ العِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالبَشَاشَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

وَلَمَّا كَانَ الإِنسَانُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِمَالِهِ، أُمِرَ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ بِهِ عَلَى الإِحْسَانِ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ الإِحْسَانُ بِالقَوْلِ، فَيَكُونُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ النَّهْيُ عَنِ الكَلَامِ القَبِيحِ لِلنَّاسِ حَتَّى لِلكُفَّارِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وَمِنْ أَدَبِ الإِنسَانِ الَّذِي أَدَّبَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، أَنْ يَكُونَ الإِنسَانُ نَزِيهًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، غَيْرَ فَاحِشٍ وَلَا بَذِيءٍ، وَلَا شَاتِمٍ، وَلَا مُخَاصِمٍ، بَلْ يَكُونُ حَسَنَ الخُلُقِ، وَاسِعَ الحِلْمِ، مُجَامِلًا لِكُلِّ أَحَدٍ، صَبُورًا عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ أَذَى الخَلْقِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَرَجَاءً لِثَوَابِهِ.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الصَّلَاةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْإِخْلَاصِ لِلمَعْبُودِ، وَالزَّكَاةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْإِحْسَانِ إِلَى العَبِيدِ.

-{ ثُمَّ } بَعْدَ هَذَا الأَمْرِ لَكُمْ بِهَذِهِ الأَوَامِرِ الحَسَنَةِ الَّتِي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا البَصِيرُ العَاقِلُ، عَرَفَ أَنَّ مِنْ إِحْسَانِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَتَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ المَوَاثِيقَ

عَلَيْكُمْ { تَوَلَّيْتُمْ } عَلَى وَجْهِ الإِعْرَاضِ، لِأَنَّ المُتَوَلِّيَ قَدْ يَتَوَلَّى، وَلَهُ نِيَّةُ رُجُوعٍ إِلَى مَا تَوَلَّى عَنْهُ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ وَلَا رُجُوعٌ فِي هَذِهِ الأَوَامِرِ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلَانِ.

-وَقَوْلُهُ: { إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ } هَذَا اسْتِثْنَاءٌ، لِئَلَّا يُوهِمَ أَنَّهُمْ تَوَلَّوْا كُلُّهُمْ، فَأَخْبَرَ أَنَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ، عَصَمَهُمُ اللهُ وَثَبَّتَهُمْ }.

• تَبْصِرَةٌ:

-إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ أَوَّلُ مِيثَاقٍ أُخِذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ أَوَّلُ مِيثَاقٍ أُخِذَ عَلَى البَشَرِيَّةِ فِي أَوَّلِ أَوَامِرِ القُرْآنِ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ }.

أَوْثَقُ المَوَاثِيقِ تَوْحِيدُ اللهِ تَعَالَى؛ إِنَّهُ الأَصْلُ فِي الحَيَاةِ الكَرِيمَةِ، وَكُلُّ فِعْلٍ جَمِيلٍ وَخُلُقٍ نَبِيلٍ تَبَعٌ لَهُ، وَمَتَى أَخَلَّ العَبْدُ بِأَصْلِهِ خَسِرَ كُلَّ مَا بَعْدَهُ! أَعْظِمْ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا! أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ قَرَنَ بِرَّهُمَا بِتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهِ؟ وَإِنَّ الإِحْسَانَ نِهَايَةُ البِرِّ فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَا يَنْبَغِي مِنَ الرِّعَايَةِ وَالعِنَايَةِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ

-مَنْ لَمْ يَجِدْ أَبًا يَحْنُو عَلَيْهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَهُ رَبًّا أَرْحَمَ بِهِ مِنْ أَبِيهِ، لَقَدْ أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا بِالإِحْسَانِ إِلَى اليَتِيمِ.

إِنَّ فِي اللهِ خَلَفًا عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ.

-حَقُّ المِسْكِينِ يَتَجَاوَزُ البَذْلَ الوَاجِبَ إِلَى مُطْلَقِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ الإِحْسَانُ بِالمَالِ فَبِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ.

-أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ لِلنَّاسِ حُسْنًا؛ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ تَبْشِيرًا وَتَشْجِيعًا، فَهَلْ تَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ ؟! اسْتَعِنْ عَلَى الوَفَاءِ بِالمِيثَاقِ بِالصَّلَاةِ لِتُصْلِحَ

قَلْبَكَ وَأَخْلَاقَكَ، وَبِالزَّكَاةِ لِتَتَعَوَّدَ البَذْلَ وَتَصِلَ الأَقْرَبِينَ، وَبِهِمَا كَمَالُ الإِحْسَانِ، وَإِنَّكَ لَأَهْلٌ لَهُ.

(٢) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: { ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }.(البقرة: ١٧٧).

-أَيْ: لَيْسَ الخَيْرُ عِنْدَ اللهِ- تَعَالَى- فِي التَّوَجُّهِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى جِهَةِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَشَرْعِهِ، وَإِنَّمَا الخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ هُوَ إِيمَانُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ بِهِ مَعْبُودًا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَآمَنَ بِيَوْمِ البَعْثِ وَالجَزَاءِ، وَبِالمَلَائِكَةِ جَمِيعًا، وَبِالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ كَافَّةً، وَبِجَمِيعِ النَّبِيِّينَ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ، وَأَعْطَى المَالَ تَطَوُّعًا -مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِ- ذَوِي القُرْبَى، وَاليَتَامَى المُحْتَاجِينَ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ دُونَ سِنِّ البُلُوغِ، وَالمَسَاكِينَ الَّذِينَ أَرْهَقَهُمُ الفَقْرُ، وَالمُسَافِرِينَ المُحْتَاجِينَ الَّذِينَ بَعُدُوا عَنْ أَهْلِهِمْ وَمَالِهِمْ، وَالسَّائِلِينَ الَّذِينَ اضْطَرُّوا إِلَى السُّؤَالِ لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ، وَأَنْفَقَ فِي تَحْرِيرِ الرَّقِيقِ وَالأَسْرَى، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَأَدَّى الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَالَّذِينَ يُوفُونَ بِالعُهُودِ، وَمَنْ صَبَرَ فِي حَالِ فَقْرِهِ وَمَرَضِهِ، وَفِي شِدَّةِ القِتَالِ. أُولَئِكَ المُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ فَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ.

- تَبْصِرَةٌ:

-أَوَّلُ خِصَالِ البِرِّ وَرَأْسُهَا الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَنْ فَاتَهُ هَذَا البِرُّ فَقَدْ فَاتَهُ أَعْظَمُ مَقْصُودٍ.

-الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ الطُّمَأْنِينَةَ بِحُصُولِ العَدْلِ التَّامِّ، وَبِأَنَّ الحَيَاةَ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ لَيْسَتْ سُدًى، وَلَا فَوْضَى بِغَيْرِ حِسَابٍ.

-عَظَّمَ اللهُ الإِيمَانَ بِالمَلَائِكَةِ فَنَظَمَهُ فِي سِلْكِ المَسَائِلِ الكِبَارِ، فَلْنُؤْمِنْ بِهِمْ، وَلْنَسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ اللهِ فِي خَلْقِهِمْ.

الإِيمَانُ بِالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ يَعْنِي الإِيمَانَ بِالرِّسَالَاتِ جَمِيعًا، وَيُؤَكِّدُ فِي يَقِينِ المُؤْمِنِ أَنَّ لِلبَشَرِ كَافَّةً إِلَهًا وَاحِدًا، وَغَايَةً وَاحِدَةً._*

-الإِنْفَاقُ عَلَى ذَوِي القُرْبَى مِنْ خِصَالِ البِرِّ، وَفِيهِ تَحْقِيقٌ لِمُرُوءَةِ النَّفْسِ، وَصِيَانَةٌ لِكَرَامَةِ الأُسْرَةِ، وَقِيَامٌ بِصِلَةِ الرَّحِمِ.

-الصَّدَقَةُ لِلْيَتَامَى تَعْوِيضٌ عَنْ فِقْدَانِهِمُ الرِّعَايَةَ الأَبَوِيَّةَ، وَحِمَايَةٌ لَهُمْ وَلِلْأُمَّةِ مِنَ الانْحِرَافِ وَالضَّيَاعِ وَالنِّقْمَةِ عَلَى مُجْتَمَعٍ لَمْ يَرْعَهُمْ.

-مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِمَنْ أَضْعَفَتْهُ الحَاجَةُ، وَأَذَلَّتْهُ الفَاقَةُ، أَنَّهُ أَوْجَبَ فِي المَالِ حَقًّا لَهُ يَحْفَظُ كَرَامَتَهُ، وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ.

-فِي إِيجَابِ الصَّدَقَةِ لِلمُنْقَطِعِ عَنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ إِشْعَارٌ لَهُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لَهُ، وَكُلَّ بِلَادِ المُسْلِمِينَ وَطَنُهُ، فَيَتَسَلَّى عَنْ أَهْلٍ بِأَهْلٍ، وَعَنْ مَالٍ بِمَالٍ، وَعَنْ دِيَارٍ بِدِيَارٍ.

-الصَّدَقَةُ لِلسَّائِلِينَ إِسْعَافٌ لِحَاجَتِهِمْ، وَكَفٌّ لَهُمْ عَنِ المَسْأَلَةِ، وَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِ اللهِ إِلَى عِبَادِهِ.

(٣) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }.(البقرة: ٢١٥).

-أَيْ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّفَقَةِ، وَهَذَا يَعُمُّ السُّؤَالَ عَنِ المُنْفِقِ وَالمُنْفَقِ عَلَيْهِ، فَأَجَابَهُمْ عَنْهُمَا فَقَالَ: (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ)- أَيْ: مَالٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، فَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ وَأَحَقُّهُمْ بِالتَّقْدِيمِ، أَعْظَمُهُمْ حَقًّا عَلَيْكَ، وَهُمُ الوَالِدَانِ الوَاجِبُ بِرُّهُمَا، وَالمُحَرَّمُ عُقُوقُهُمَا، وَمِنْ أَعْظَمِ بِرِّهِمَا، النَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا، وَمِنْ أَعْظَمِ العُقُوقِ، تَرْكُ الإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا، وَلِهَذَا كَانَتِ النَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا وَاجِبَةً، عَلَى الوَلَدِ المُوسِرِ، وَمِنْ بَعْدِ الوَالِدَيْنِ الأَقْرَبُونَ، عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، عَلَى حَسَبِ القُرْبِ وَالحَاجَةِ، فَالإِنْفَاقُ عَلَيْهِمْ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ، (وَالْيَتَامَى) وَهُمُ الصِّغَارُ الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، فَهُمْ فِي مَظِنَّةِ الحَاجَةِ لِعَدَمِ قِيَامِهِمْ بِمَصَالِحِ أَنْفُسِهِمْ، وَفَقْدِ الكَاسِبِ، فَوَصَّى اللهُ بِهِمُ العِبَادَ، رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ وَلُطْفًا، (وَالْمَسَاكِينِ) وَهُمْ أَهْلُ الحَاجَاتِ، وَأَرْبَابُ الضَّرُورَاتِ الَّذِينَ أَسْكَنَتْهُمُ الحَاجَةُ، فَيُنْفَقُ عَلَيْهِمْ، لِدَفْعِ حَاجَاتِهِمْ وَإِغْنَائِهِمْ، (وَابْنَ السَّبِيلِ)- أَيْ: الغَرِيبُ المُنْقَطِعُ بِهِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ، فَيُعَانُ عَلَى سَفَرِهِ بِالنَّفَقَةِ، الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى مَقْصِدِهِ.

-وَلَمَّا خَصَّصَ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الأَصْنَافَ، لِشِدَّةِ الحَاجَةِ، عَمَّمَ تَعَالَى فَقَالَ: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) مِنْ صَدَقَةٍ عَلَى هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، بَلْ وَمِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، لِأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي اسْمِ الخَيْرِ، (فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَيَحْفَظُهُ لَكُمْ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ نِيَّتِهِ وَإِخْلَاصِهِ، وَكَثْرَةِ نَفَقَتِهِ وَقِلَّتِهَا، وَشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَعِظَمِ وَقْعِهَا وَنَفْعِهَا.

• تَبْصِرَةٌ:

-لِلْإِنْفَاقِ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي تَوْثِيقِ عُرَى الأُخُوَّةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَتَعْمِيقِ الشُّعُورِ بِالانْتِمَاءِ لِلْأُمَّةِ الوَاحِدَةِ، فَلَا غَرْوَ أَنْ يُبَادِرَ الصَّالِحُونَ إِلَى السُّؤَالِ عَنِ الأَوْجُهِ الَّتِي يُنْفِقُونَ بِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ.

-المَالُ خَيْرٌ لِلمُعْطِي وَالآخِذِ، وَخَيْرٌ لِلفَرْدِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَحَقُّ مَا أُنْفِقَ فِيهِ وُجُوهُ الخَيْرِ، جَعَلَنَا اللهُ مِنَ المُنْفِقِينَ فِيهَا طَلَبًا لِرِضَاهُ.

مِنْ مَنْهَجِ الإِسْلَامِ الحَكِيمِ فِي تَرْبِيَةِ النُّفُوسِ أَنْ يَأْخُذَ الإِنْسَانَ بِفِطْرَتِهِ وَمُيُولِهِ، وَيَسِيرَ بِهِ إِلَى الكَمَالِ خُطْوَةً خُطْوَةً، وَيَرْتَقِيَ بِهِ نَحْوَ المَعَالِي دَرَجَةً دَرَجَةً.

-إِدَارَةُ الأَوْلَوِيَّاتِ، وَتَرْتِيبُ الوَاجِبَاتِ، مَنْهَجٌ شَرْعِيٌّ يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ كُلُّ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ، حَرِيصٍ عَلَى الفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

-لِيَعْلَمْ كُلُّ مُنْفِقٍ أَنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِإِنْفَاقِهِ، عَلِيمٌ بِنِيَّتِهِ، لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ شَيْءٌ، وَلَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَمَا أَحْرَانَا أَنْ نَجُودَ وَنَسْخُوَ فِي الإِنْفَاقِ!.

(٤) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: { ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.(التوبة: ٦٠).

-يَقُولُ تَعَالَى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ) أَيْ: الزَّكَوَاتُ الوَاجِبَةُ، بِدَلِيلِ أَنَّ الصَّدَقَةَ المُسْتَحَبَّةَ لِكُلِّ أَحَدٍ، لَا يُخَصُّ بِهَا أَحَدٌ دُونَ أَحَدٍ.

-أَيْ: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِهَؤُلَاءِ المَذْكُورِينَ دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، لِأَنَّهُ حَصَرَهَا فِيهِمْ، وَهُمْ ثَمَانِيَةُ أَصْنَافٍ.

-الأَوَّلُ وَالثَّانِي: الفُقَرَاءُ وَالمَسَاكِينُ، وَهُمْ فِي هَذَا المَوْضِعِ، صِنْفَانِ مُتَفَاوِتَانِ، فَالفَقِيرُ أَشَدُّ حَاجَةً مِنَ المِسْكِينِ، لِأَنَّ اللَّهَ بَدَأَ بِهِمْ، وَلَا يَبْدَأُ إِلَّا بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ، فَفُسِّرَ الفَقِيرُ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا يَجِدُ شَيْئًا، أَوْ يَجِدُ بَعْضَ كِفَايَتِهِ دُونَ نِصْفِهَا.

-وَالمِسْكِينُ: الَّذِي يَجِدُ نِصْفَهَا فَأَكْثَرَ، وَلَا يَجِدُ تَمَامَ كِفَايَتِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ وَجَدَهَا لَكَانَ غَنِيًّا، فَيُعْطَوْنَ مِنَ الزَّكَاةِ مَا يَزُولُ بِهِ فَقْرُهُمْ وَمَسْكَنَتُهُمْ.

-وَالثَّالِثُ: العَامِلُونَ عَلَى الزَّكَاةِ، وَهُمْ كُلُّ مَنْ لَهُ عَمَلٌ وَشُغْلٌ فِيهَا، مِنْ حَافِظٍ لَهَا، أَوْ جَابٍ لَهَا مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ رَاعٍ، أَوْ حَامِلٍ لَهَا، أَوْ كَاتِبٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَيُعْطَوْنَ لِأَجْلِ عَمَالَتِهِمْ، وَهِيَ أُجْرَةٌ لِأَعْمَالِهِمْ فِيهَا.

-وَالرَّابِعُ: المُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، المُؤَلَّفُ قَلْبُهُ: هُوَ السَّيِّدُ المُطَاعُ فِي قَوْمِهِ، مِمَّنْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ، أَوْ يُخْشَى شَرُّهُ أَوْ يُرْجَى بِعَطِيَّتِهِ قُوَّةُ إِيمَانِهِ، أَوْ إِسْلَامُ نَظِيرِهِ، أَوْ جِبَايَتُهَا مِمَّنْ لَا يُعْطِيهَا، فَيُعْطَى مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّأْلِيفُ وَالمَصْلَحَةُ.

-الخَامِسُ: الرِّقَابُ، وَهُمُ المُكَاتَبُونَ الَّذِينَ قَدِ اشْتَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ سَادَاتِهِمْ، فَهُمْ يَسْعَوْنَ فِي تَحْصِيلِ مَا يَفُكُّ رِقَابَهُمْ، فَيُعَانُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ المُسْلِمَةِ الَّتِي فِي حَبْسِ الكُفَّارِ دَاخِلٌ فِي هَذَا، بَلْ أَوْلَى، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَ مِنْهَا الرِّقَابُ اسْتِقْلَالًا لِدُخُولِهِ فِي قَوْلِهِ: (وَفِي الرِّقَابِ).

-السَّادِسُ: الغَارِمُونَ، وَهُمْ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: الغَارِمُونَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ شَرٌّ وَفِتْنَةٌ، فَيَتَوَسَّطَ الرَّجُلُ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ بِمَالٍ يَبْذُلُهُ لِأَحَدِهِمْ أَوْ لَهُمْ كُلِّهِمْ، فَجُعِلَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الزَّكَاةِ، لِيَكُونَ أَنْشَطَ لَهُ وَأَقْوَى لِعَزْمِهِ، فَيُعْطَى وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا.

وَالثَّانِي: مَنْ غَرِمَ لِنَفْسِهِ ثُمَّ أَعْسَرَ، فَإِنَّهُ يُعْطَى مَا يُوَفِّي بِهِ دَيْنَهُ.

-وَالسَّابِعُ: الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُمْ: الغُزَاةُ المُتَطَوِّعَةُ، الَّذِينَ لَا دِيوَانَ لَهُمْ، فَيُعْطَوْنَ مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُعِينُهُمْ عَلَى غَزْوِهِمْ، مِنْ ثَمَنِ سِلَاحٍ، أَوْ دَابَّةٍ، أَوْ نَفَقَةٍ لَهُ وَلِعِيَالِهِ، لِيَتَوَفَّرَ عَلَى الجِهَادِ وَيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ.

-وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الفُقَهَاءِ: إِنَّ تَفَرُّغَ القَادِرِ عَلَى الكَسْبِ لِطَلَبِ العِلْمِ، أُعْطِيَ مِنَ الزَّكَاةِ، لِأَنَّ العِلْمَ دَاخِلٌ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

-وَقَالُوا أَيْضًا: يَجُوزُ أَنْ يُعْطَى مِنْهَا الفَقِيرُ لِحَجِّ فَرْضِهِ، (وَفِيهِ نَظَرٌ).

-وَالثَّامِنُ: ابْنُ السَّبِيلِ، وَهُوَ الغَرِيبُ المُنْقَطِعُ بِهِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ، فَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُوصِلُهُ إِلَى بَلَدِهِ، فَهَؤُلَاءِ الأَصْنَافُ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ تُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الزَّكَاةُ وَحْدَهُمْ.

(فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) فَرَضَهَا وَقَدَّرَهَا، تَابِعَةً لِعِلْمِهِ وَحُكْمِهِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنَافَ الثَّمَانِيَةَ، تَرْجِعُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ يُعْطَى لِحَاجَتِهِ وَنَفْعِهِ، كَالفَقِيرِ، وَالمِسْكِينِ، وَنَحْوِهِمَا.

وَالثَّانِي: مَنْ يُعْطَى لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَانْتِفَاعِ الإِسْلَامِ بِهِ، فَأَوْجَبَ اللَّهُ هَذِهِ الحِصَّةَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ، لِسَدِّ الحَاجَاتِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ لِلْإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، فَلَوْ أَعْطَى الأَغْنِيَاءُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، لَمْ يَبْقَ فَقِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَلَحَصَلَ مِنَ الأَمْوَالِ مَا يَسُدُّ الثُّغُورَ، وَيُجَاهِدُ بِهِ الكُفَّارَ وَتَحْصُلُ بِهِ جَمِيعُ المَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ.

- تَبْصِرَةٌ:

-الزَّكَاةُ فَرِيضَةٌ تَعَبُّدِيَّةٌ فِي هَيْئَةِ خِدْمَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، بِهَا يَرْتَبِطُ العَبْدُ بِخَالِقِهِ، وَبِهَا تَمْتَدُّ جُسُورُ الصِّلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَفْرَادِ جِنْسِهِ.

-شَرِيعَةُ اللهِ مُنَظِّمَةٌ لِشُؤُونِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، فَهِيَ تُعِينُ المُحْتَاجِينَ، وَتُسَاعِدُ عَلَى إِنْجَاحِ مَشَارِيعِ المُصْلِحِينَ، وَتَرْفَعُ بِالمَالِ رَايَاتِ الجِهَادِ بَيْنَ العَالَمِينَ.

-لَوْ عَمِلَ النَّاسُ بِنِظَامِ الإِسْلَامِ التَّكَافُلِيِّ لَمَا أَكَلَ بَعْضُهُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ مِنْ خِلَالِ القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ، كَمَا هِيَ شَرَائِعُ الأَرْضِ الظَّالِمَةِ.

-الزَّكَاةُ تَشْرِيعُ حَكِيمٍ عَلِيمٍ؛ فَإِنَّهَا إِذَا أُخِذَتْ كَمَا يَنْبَغِي وَصُرِفَتْ كَمَا يَنْبَغِي، صَارَتْ مَصْلَحَةً عُظْمَى لِلفَرْدِ وَالجَمَاعَةِ.

(٥) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا }. (الإسراء: ٢٦).

-يَقُولُ تَعَالَى: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ } مِنَ البِرِّ وَالإِكْرَامِ الوَاجِبِ وَالمَسْنُونِ وَذَلِكَ الحَقُّ يَتَفَاوَتُ بِتَفَاوُتِ الأَحْوَالِ وَالأَقَارِبِ وَالحَاجَةِ وَعَدَمِهَا وَالأَزْمِنَةِ.

{ وَالْمِسْكِينَ } آتِهِ حَقَّهُ مِنَ الزَّكَاةِ وَمِنْ غَيْرِهَا لِتَزُولَ مَسْكَنَتُهُ { وَابْنَ السَّبِيلِ } وَهُوَ الغَرِيبُ المُنْقَطِعُ بِهِ عَنْ بَلَدِهِ، فَيُعْطَى الجَمِيعُ مِنَ المَالِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَضُرُّ المُعْطِي وَلَا يَكُونُ زَائِدًا عَلَى المِقْدَارِ اللَائِقِ فَإِنَّ ذَلِكَ تَبْذِيرٌ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ.

- تَبْصِرَةٌ:

-تَأْكِيدُ حَقِّ القَرِيبِ: البَدْءُ بِذِكْرِ ذِي القُرْبَى قَبْلَ المِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الأَقَارِبِ وَتَأْكِيدِ بِرِّهِمْ.

-تَحْقِيقُ صِلَةِ الرَّحِمِ: إِعْطَاءُ القَرِيبِ حَقَّهُ هُوَ التَّطْبِيقُ العَمَلِيُّ لِصِلَةِ الرَّحِمِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا وَجَعَلَ لَهَا شَأْنًا عَظِيمًا.

-التَّكَافُلُ الاجْتِمَاعِيُّ: بِنَاءُ مُجْتَمَعٍ مُتَمَاسِكٍ تَسُودُهُ المَحَبَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَتُرْفَعُ فِيهِ الحَاجَةُ عَنِ المُحْتَاجِينَ مِنَ الأَهْلِ وَالجِيرَانِ.

-عِظَمُ أَجْرِ الصَّدَقَةِ عَلَى القَرِيبِ: الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي القُرْبَى تَجْمَعُ أَجْرَيْنِ؛ أَجْرَ الصَّدَقَةِ وَأَجْرَ صِلَةِ الرَّحِمِ.

-الاعْتِدَالُ فِي الإِنْفَاقِ: جَاءَتِ الآيَةُ مُتَّصِلَةً بِالنَّهْيِ عَنِ التَّبْذِيرِ، لِتُعَلِّمَ المُسْلِمَ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلًا فِي بَذْلِهِ وَعَطَائِهِ فَلَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ.

• ثَالِثًا: الإِحْسَانُ إِلَى الفُقَرَاءِ فِي السُّنَّةِ:

-وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحُثُّ عَلَى الإِحْسَانِ لِلفُقَرَاءِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي المُعْجَمِ الأَوْسَطِ بِرَقْمِ(٦٠٢٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ -يَعْنِي:

مَسْجِدَ المَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ }.(وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ: ٩٠٦).

• شَرْحُ الحَدِيثِ:

-كَانَ الصَّحَابَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-لِحِرْصِهِمْ عَلَى الطَّاعَاتِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْ رِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ- كَثِيرًا مَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، وَأَكْثَرِهَا قُرْبَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَكَانَتْ إِجَابَاتُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا هُوَ أَكْثَرُ نَفْعًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

-وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }، أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ المَادِّيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ، وَالنَّفْعَ بِالمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالجَاهِ، وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ النَّفْعِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَشْرُفُ بِحُبِّ اللهِ لَهُ، { وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ }، أَيْ:

أَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ: هِيَ السَّعَادَةُ الَّتِي تُدْخِلُهَا عَلَى قَلْبِ المُسْلِمِ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الأَحْوَالِ وَالأَفْرَادِ، فَقَدْ يَتَحَقَّقُ السُّرُورُ فِي قَلْبِ المُسْلِمِ بِسُؤَالِ أَخِيهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِزِيَارَةِ أَخِيهِ لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِهَدِيَّةِ أَخِيهِ لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، الأَصْلُ أَنْ تُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَيْهِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ اسْتَطَعْتَ، { أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً }، وَالكُرْبَةُ

: هِيَ الشِّدَّةُ العَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الهَمِّ وَالغَمِّ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَهُ، وَيَرْفَعَ عَنْهُ غَمَّهُ، فَقَدْ وُفِّقَ بِذَلِكَ إِلَى أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، { أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا }، أَيْ: تَقْضِي عَنْ صَاحِبِ الدَّيْنِ دَيْنَهُ؛ وَذَلِكَ فِيمَنْ يَعْجَزُ عَنِ الوَفَاءِ بِدَيْنِهِ،{ أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا }، أَيْ: بِإِطْعَامِهِ أَوْ إِعْطَائِهِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الإِطْعَامِ، ؛{ وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ، يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ شَهْرًا }، فَفِي قَوْلِهِ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ المَشْيِ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَتَيْسِيرِ العَقَبَاتِ لَهُمْ، حَتَّى جَاوَزَ هَذَا الفَضْلُ الاعْتِكَافَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

، وَلَا يَدُلُّ هَذَا إِلَّا عَلَى عَظِيمِ فَضْلِ السَّعْيِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، { وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ }، وَفِيهِ إِرْشَادٌ إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ المُسْلِمُ بِهِ نَفْسَهُ وَقْتَ الغَضَبِ، مِنْ كَفِّ الغَضَبِ وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ طَيِّبَةٌ، وَهِيَ سَتْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعَوْرَتِهِ،{ وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ }، وَهَذَا فَضْلُ مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ للهِ، مَعَ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُمْضِيَ غَيْظَهُ، وَلَكِنَّهُ كَظَمَهُ وَمَنَعَهُ للهِ؛ وَلِأَنَّ هَذَا الأَمْرَ عَزِيزٌ عَلَى النَّفْسِ، فَكَانَ فَضْلُهُ عَظِيمًا،{ وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ }، أَيْ: حَتَّى تُقْضَى لَهُ،{ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ }، أَيْ: ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ.

-ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ وَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ }، خَتَمَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِهَذِهِ العِبَارَاتِ، وَهَذَا الإِرْشَادِ، بَعْدَ أَنْ أَرْشَدَ السَّائِلَ إِلَى أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَهُ:

إِنْ فَعَلْتَ هَذِهِ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَفُوتَكَ حُسْنُ الخُلُقِ؛ فَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَسَادًا عَظِيمًا، كَمَا يَفْسُدُ العَسَلُ إِذَا وُضِعَ عَلَيْهِ الخَلُّ، فَعَلَيْكَ -إِذَنْ- أَنْ تَجْتَنِبَ سُوءَ الخُلُقِ؛ فَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُحْبِطُ الأَعْمَالَ، وَيُضِيعُ الثَّوَابَ.

-وَفِي الحَدِيثِ: الحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ سُوءِ الخُلُقِ

(٢) أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٠١٧) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيِّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ عَلَيْهِمْ سُيُوفٌ، عَامَّتُهُمْ مِنْ

مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَغَيَّرَ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الفَاقَةِ قَالَ: فَدَخَلَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَخَرَجَ فَصَلَّى ثُمَّ قَالَ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }.(النِّسَاءِ: ١)، { اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ }.(الحَشْرِ: ١٨)

يَتَصَدَّقُ امْرُؤٌ مِنْ دِينَارِهِ وَمِنْ دِرْهَمِهِ وَمِنْ ثَوْبِهِ وَمِنْ صَاعِ بُرِّهِ وَمِنْ صَاعِ شَعِيرِهِ حَتَّى ذَكَرَ شِقَّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ تَعْجِزُ كَفَّاهُ بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَوْمَيْنِ مِنَ الثِّيَابِ وَالطَّعَامِ فَلَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَهَلَّلَ حَتَّى كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ }.

- شَرْحُ الحَدِيثِ:

–كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُعَلِّمًا حَكِيمًا، وَكَانَ يُرَاعِي أَحْوَالَ النَّاسِ حَوْلَهُ، فَيُعَلِّمُهُمْ مَا يَكُونُ مُنَاسِبًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ، وَمِنْ ذَلِكَ حَثُّهُ عَلَى التَّصَدُّقِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ.

–وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَرْوِي جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيُّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، «فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ»، جَمْعُ حَافٍ، وَهُوَ مَنْ لَا يَكُونُ فِي رِجْلِهِ خُفٌّ وَلَا نَعْلٌ وَلَا حِذَاءٌ، فَلَا يَلْبَسُونَ شَيْئًا فِي أَقْدَامِهِمْ، { عُرَاةٌ } كَأَنَّهُمْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ العُرْيُ، وَكَأَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ بَعْضَ الثِّيَابِ الَّتِي تُغَطِّي عَوْرَاتِهِمْ مَعَ تَكَشُّفِ بَاقِي الجَسَدِ، { مُجْتَابِي }الاجْتِيَابُ:

التَّقْطِيعُ وَالخَرْقُ، { النِّمَارِ } كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ مِنْ صُوفٍ، فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، كَأَنَّهَا أُخِذَتْ مِنْ لَوْنِ النَّمِرِ، أَيْ: لَابِسِي النِّمَارِ المُخَرَّقَةِ، وَعَبَّرَ عَنْ لُبْسِهِمْ بِالاجْتِيَابِ لِكَوْنِهِمْ قَدْ لَفُّوهَا عَلَى جَسَدِهِمْ، فَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي وَسَطِهَا، أَوْ لِكَوْنِهِمْ قَدْ خَرَقُوهَا مِنْ وَسَطِهَا وَأَدْخَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهَا، أَوْ يَلْبَسُونَ { العَبَاءَ } جَمْعُ عَبَاءَةٍ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ، وَكُلُّ هَذَا عَلَامَاتٌ عَلَى فَقْرِهِمُ الشَّدِيدِ، وَكَانَ مِنْ صِفَتِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يُعَلِّقُونَ السُّيُوفَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، كُلُّهُمْ مِنْ قَبِيلَةِ مُضَرَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ كُبْرَى، وَفِي رِوَايَةٍ:

أَنَّهُمْ كَانُوا أَعْرَابًا، جَمْعُ أَعْرَابِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي يَسْكُنُ الصَّحْرَاءَ مِنَ العَرَبِ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى تِلْكَ الحَالِ، تَغَيَّرَ وَجْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ آثَارُ الحُزْنِ؛ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الفَقْرِ الشَّدِيدِ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ حِينَ دَخَلَ وَقْتُهَا، كَمَا فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، فَأَمَرَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُؤَذِّنَهُ بِلَالَ بْنَ رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَذَّنَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَقَامَ لَهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَصْحَابِهِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–، وَبَعْدَ الانْتِهَاءِ مِنَ الصَّلَاةِ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

{ صَعِدَ مِنْبَرًا صَغِيرًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ } وَهِيَ كَلِمَةٌ يُفْصَلُ بِهَا بَيْنَ الكَلَامَيْنِ عِنْدَ إِرَادَةِ الانْتِقَالِ مِنْ كَلَامٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَالمَعْنَى: أَقُولُ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّشَهُّدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }.(النِّسَاءِ:١)،وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَفِيهَا: يُنَادِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِالتَّقْوَى، وَذَلِكَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ أَبُوهُمْ آدَمُ، وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَّاءَ أُمَّهُمْ، وَنَشَرَ مِنْهُمَا فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ بَشَرًا كَثِيرًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا، ثُمَّ أَعَادَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمُ الأَمْرَ بِالتَّقْوَى تَأْكِيدًا عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا لِلمُسْلِمِ، الَّذِي

إِذَا سَأَلَ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَجَابَهُ فِيمَا سَأَلَ، فَكَذَلِكَ فَعَظِّمُوهُ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَاتَّقُوا قَطْعَ الأَرْحَامِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا، فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، بَلْ يُحْصِيهَا وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.(الحَشْرِ:١٨)، يَخُصُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ النِّدَاءَ فِي تِلْكَ الآيَةِ بِالمُؤْمِنِينَ، وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالتَّقْوَى، دَعَاهُمْ إِلَى بَذْلِ مَا يَحْفَظُهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَحَثَّهُمْ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي خُطْبَتِهِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَقَالَ: { تَصَدَّقَ رَجُلٌ } خَبَرٌ بِمَعْنَى الأَمْرِ، أَيْ: لِيَتَصَدَّقْ رَجُلٌ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ { مِنْ دِينَارِهِ } الذَّهَبِيِّ أَوْ { مِنْ دِرْهَمِهِ } الفِضِّيِّ أَوْ { مِنْ ثَوْبِهِ }

أَوْ { مِنْ صَاعِ بُرِّهِ } وَهُوَ القَمْحُ، أَوْ «مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ»، وَهَذَا مِنَ التَّصَدُّقِ بِالطَّعَامِ، وَالصَّاعُ نَوْعٌ مِنَ المَكَايِيلِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي عَهْدِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لَا يُرَادُ بِهِ هُنَا حَقِيقَتُهُ، بَلْ حَثٌّ لَهُمْ عَلَى مَا يُمْكِنُ التَّصَدُّقُ بِهِ، { حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }، أَيْ: نِصْفِ تَمْرَةٍ.

وَأَخْبَرَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ –وَهُمْ أَهْلُ المَدِينَةِ– جَاءَ { بِصُرَّةٍ } وَهُوَ كِيسٌ مَرْبُوطٌ فِيهِ مِنَ الدَّرَاهِمِ أَوِ الدَّنَانِيرِ، عَجَزَتْ يَدُهُ عَنْ حَمْلِهَا؛ لِثِقَلِهَا مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ وَتَوَالَوْا فِي إِعْطَاءِ الصَّدَقَاتِ، حَتَّى رَأَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– { كَوْمَيْنِ } وَالكُومُ بِالضَّمِّ: العَظِيمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالكَوْمُ بِالفَتْحِ: المَكَانُ المُرْتَفِعُ، وَهُوَ الأَوْلَى؛ لِأَنَّ المَقْصُودَ التَّكْثِيرُ،{ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ }، وَلَعَلَّ الاقْتِصَارَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ النُّقُودِ لِغَلَبَتِهِ، حَتَّى رَأَى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْتَنِيرُ فَرَحًا وَسُرُورًا، كَأَنَّهُ { مُذْهَبَةٌ } وَهِيَ الفِضَّةُ المَطْلِيَّةُ أَوِ المَخْلُوطَةُ بِالذَّهَبِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي حُسْنِ الوَجْهِ وَإِشْرَاقِهِ، وَمَعْنَاهُ: ظُهُورُ البِشْرِ فِي وَجْهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى اسْتَنَارَ

وَأَشْرَقَ مِنَ السُّرُورِ، فَرَحًا بِمُبَادَرَةِ المُسْلِمِينَ إِلَى طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ بِبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَدَفْعِ حَاجَةِ هَؤُلَاءِ المُحْتَاجِينَ، وَشَفَقَتِهِمْ عَلَى إِخْوَانِهِمْ، وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

قَالَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً }، أَيْ:

أَتَى بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، أَوْ صَارَ بَاعِثًا وَسَبًا لِتَرْوِيجِ أَمْرٍ ثَابِتٍ فِي الشَّرْعِ، فَاقْتَدَى بِهِ غَيْرُهُ فِيهِ؛ فَلَهُ ثَوَابُ العَمَلِ بِهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِ مَا سَنَّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ثَوَابِ وَأُجُورِ العَامِلِينَ بِهَا شَيْءٌ، قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ؛ لِأَنَّهُ أَجْرٌ عَلَى تَسَبُّبِهِ فِي عَمَلِهِمْ وَلَا أَجْرٌ عَلَى عَمَلِهِمْ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى ثَنَاءِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الرَّجُلِ الأَنْصَارِيِّ الَّذِي أَتَى بِالصُّرَّةِ، وَبَيَانٌ لِفَضِيلَتِهِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي فِعْلِهِ،{ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً }، أَيْ:

فَعَلَ فِعْلًا قَبِيحًا وَطَرِيقَةً غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ لَا يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَبَدَأَ العَمَلَ بِهَا قَبْلَ غَيْرِهِ، فَاقْتَدَى بِهِ فِيهِ؛ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمُهَا، وَإِثْمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْءٌ.

وَفِي الحَدِيثِ: الحَثُّ عَلَى البَدَاءَةِ بِالخَيْرِ؛ لِيُسْتَنَّ بِهِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ البَدَاءَةِ بِالشَّرِّ؛ خَوْفَ أَنْ يُسْتَنَّ بِهِ. وَفِيهِ: التَّرْغِيبُ فِي الخَيْرِ المُتَكَرِّرِ أَجْرُهُ بِسَبَبِ الاقْتِدَاءِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الشَّرِّ المُتَكَرِّرِ إِثْمُهُ بِسَبَبِ الاقْتِدَاءِ. وَفِيهِ: رَحْمَةُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأُمَّتِهِ.

(٣) أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٦٩٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:.

{ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا

وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ }.

• شَرْحُ الحَدِيثِ:

–حَثَّ الشَّرْعُ عَلَى التَّحَلِّي بِالفَضَائِلِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ، مِثْلِ قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَالتَّيْسِيرِ عَلَيْهِمْ وَنَفْعِهِمْ بِمَا يَتَيَسَّرُ مِنْ مَالٍ وَعِلْمٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ مُشَاوَرَةٍ.

–وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً }، أَيْ: رَفَعَ عَنْ مُؤْمِنٍ حُزْنًا وَعَنَاءً وَشِدَّةً، وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا، فَيَكُونُ الثَّوَابُ وَالأَجْرُ أَنْ يُنَفِّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَتَنْفِيسُ الكُرَبِ إِحْسَانٌ، فَجَزَاهُ اللهُ جَزَاءً وِفَاقًا، { وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ }، وَالتَّيْسِيرُ عَلَى المُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ المَالِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِإِنْظَارِهِ إِلَى المَيْسَرَةِ، وَتَارَةً بِالوَضْعِ عَنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيمًا، أَيْ:

عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَإِلَّا فَبِإِعْطَائِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ، وَكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَجَزَاؤُهُ أَنْ يُيَسِّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مُقَابِلَ تَيْسِيرِهِ عَلَى عَبْدِهِ؛ مُجَازَاةً لَهُ بِجِنْسِ عَمَلِهِ، { وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا }، أَيْ:

رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَمْ يُظْهِرْهُ لِلنَّاسِ، فَيَكُونُ جَزَاؤُهُ أَنْ يَسْتُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، أَيْ:

يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ أَوْ عُيُوبَهُ، وَيَسْتُرَهُ فِي الآخِرَةِ عَنْ أَهْلِ المَوْقِفِ. وَهَذَا فِيمَنْ كَانَ مَسْتُورًا لَا يُعْرَفُ بِشَيْءٍ مِنَ المَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ هَتْكُهَا وَلَا كَشْفُهَا وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَقْتَضِي تَرْكَ الإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

-وَقَوْلُهُ:{ وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ }، أَيْ: مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ أَعَانَهُ اللهُ، وَمَنْ كَانَ سَاعِيًا فِي قَضَاءِ حَاجَاتِ أَخِيهِ، قَضَى اللهُ حَاجَاتِهِ؛ فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

: -وَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ { مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا }، وَهَذَا يَشْمَلُ الطَّرِيقَ المَعْنَوِيَّ وَالطَّرِيقَ الحِسِّيَّ؛ فَأَمَّا المَعْنَوِيُّ فَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى العِلْمِ؛ كَحِفْظِ العِلْمِ، وَمُدَارَسَتِهِ وَمُذَاكَرَتِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ، بِأَنْ يُلْتَمَسَ العِلْمُ مِنْ أَفْوَاهِ العُلَمَاءِ وَمِنْ بُطُونِ الكُتُبِ؛ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى العُلَمَاءِ، أَوْ يُرَاجِعُ الكُتُبَ وَيَبْحَثُ فِيهَا -وَإِنْ كَانَ جَالِسًا-؛ فَإِنَّهُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، وَأَمَّا الطَّرِيقُ الحِسِّيُّ فَهُوَ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِيهِ المَرْءُ، وَيَسِيرُ فِيهِ عَلَى الأَقْدَامِ؛ مِثْلُ أَنْ يَأْتِيَ الإِنْسَانُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَكَانِ العِلْمِ، سَوَاءٌ كَانَ مَكَانُ العِلْمِ مَسْجِدًا، أَوْ مَدْرَسَةً، أَوْ جَامِعَةً، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، { سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ }، أَيْ:

يَسَّرَ اللهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا يُوصِلُهُ إِلَى الجَنَّةِ بِفَضْلِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ عَلَيْهِ، فَيُوَفِّقُهُ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوِ المُرَادُ: سَهَّلَ عَلَيْهِ مَا يَزِيدُ بِهِ عِلْمُهُ؛ لِأَنَّهُ أَيْضًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، بَلْ هُوَ أَقْرَبُهَا؛ لِأَنَّ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ تُعْرَفُ بِهِ أَوَامِرُ اللهِ وَنَوَاهِيهِ، فَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُوصِلُ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَكُونُ طَلَبُ العِلْمِ وَتَحْصِيلُهُ بِاتِّخَاذِ كُلِّ الوَسَائِلِ المُسْتَطَاعَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَفَرٌ؛ كَأَنْ يُلَازِمَ مَجَالِسَ العِلْمِ، وَيَقْتَنِيَ الكُتُبَ النَّافِعَةَ المُفِيدَةَ لِأَجْلِ دِرَاسَتِهَا وَالمُذَاكَرَةِ فِيهَا.

وَأَخْبَرَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ { مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ } وَيُلْحَقُ بِهَا دُورُ العِلْمِ وَنَحْوُهَا، وَبُيُوتُ اللهِ فِي الأَرْضِ المَسَاجِدُ، وَأَضَافَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الأَمَاكِنَ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا، وَلِأَنَّهَا مَحَلُّ ذِكْرِهِ، وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ.{ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ }، بِأَنْ يَقْرَأَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَدَارَسُوا أَحْكَامَهُ، وَيَتَعَهَّدُوهُ خَوْفَ النِّسْيَانِ؛ إِلَّا مَنَحَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

الأَجْرَ الجَزِيلَ فَضْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَكَرَمًا، ثُمَّ يُبَيِّنُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَضْلَ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ فِي المَسْجِدِ وَمُدَارَسَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ يَمْنَحُ لِمَنْ جَلَسَ هَذِهِ المَجَالِسَ أَرْبَعَ مِنَحٍ، أُوَلُهَا:

أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي نُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ مَا يَحْصُلُ بِهِ صَفَاءُ القَلْبِ بِنُورِ القُرْآنِ وَذَهَابِ ظُلْمَتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ، مَعَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالوَقَارِ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ مُطْمَئِنًّا غَيْرَ قَلِقٍ وَلَا شَاكٍّ، رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ. وَهَذِهِ السَّكِينَةُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، قَالَ عَنْهَا:{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ }.(الفَتْحِ:٤)

وَالْمِنْحَةُ الثَّانِيَةُ: { وَغَشِيَتْهُمْ }، أَيْ: غَطَّتْهُمْ وَسَتَرَتْهُمْ رَحْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْمِنْحَةُ الثَّالِثَةُ: { وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ }، أَيْ:

التَفُّوا حَوْلَهُمْ؛ تَعْظِيمًا لِصَنِيعِهِمْ، وَاسْتِمَاعًا لِذِكْرِهِمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيْهِمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْمِنْحَةُ الرَّابِعَةُ: { وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ } مِنَ المَلَإِ الأَعْلَى، وَهِيَ الطَّبَقَةُ الأُولَى مِنَ المَلَائِكَةِ، ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى مُبَاهَاةً بِهِمْ.

–ثُمَّ يَخْتِمُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الحَدِيثَ بِالحَثِّ عَلَى عُلُوِّ الهِمَّةِ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَعَدَمِ التَّوَاكُلِ عَلَى الحَسَبِ أَوِ النَّسَبِ، أَوْ أَيِّ عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، فَيُبَيِّنُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–{ أَنَّ مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ }، مَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا، لَمْ يُلْحِقْهُ نَسَبُهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الأَعْمَالِ؛ فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَّكِلَ عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ، وَفَضِيلَةِ الآبَاءِ، وَيُقَصِّرَ فِي العَمَلِ.

–وَفِي الحَدِيثِ: أَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

–وَفِيهِ: فَضِيلَةُ إِعَانَةِ الغَيْرِ.

–وَفِيهِ: الحَثُّ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ وَتَدَارُسِهِ.

• رَابِعًا: مُبْطِلَاتُ الصَّدَقَةِ وَالإِحْسَانِ:

–مِنْ مُبْطِلَاتِ الصَّدَقَةِ: المَنُّ وَهُوَ الفَخْرُ بِالعَطَاءِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ فَخْرًا بِالعَطَاءِ، وَالأَذَى وَهُوَ إِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِمَنْ تَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }.(البَقَرَة: ٢٦٢–٢٦٤).

–أَيْ: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَسَبِيلِهِ، وَلَا يُتْبِعُونَهَا بِمَا يُنْقِصُهَا وَيُفْسِدُهَا مِنَ المَنِّ بِهَا عَلَى المُنْفَقِ عَلَيْهِ بِالقَلْبِ أَوْ بِاللِّسَانِ، بِأَنْ يُعَدِّدَ عَلَيْهِ إِحْسَانَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ، وَلَا أَذِيَّةَ لَهُ قَوْلِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ أَجْرُهُمُ اللَائِقُ بِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، فَحَصَلَ لَهُمُ الخَيْرُ وَانْدَفَعَ عَنْهُمُ الشَّرُّ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا عَمَلًا خَالِصًا للهِ سَالِمًا مِنَ المُفْسِدَاتِ.

–{ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ } أَيْ:

تَعْرِفُهُ القُلُوبُ وَلَا تُنْكِرُهُ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ قَوْلٍ كَرِيمٍ فِيهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ المُسْلِمِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ رَدُّ السَّائِلِ بِالقَوْلِ الجَمِيلِ وَالدُّعَاءِ لَهُ { وَمَغْفِرَةٌ } لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِتَرْكِ مُؤَاخَذَتِهِ وَالعَفْوِ عَنْهُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ العَفْوُ عَمَّا يَصْدُرُ مِنَ السَّائِلِ مِمَّا لَا يَنْبَغِي، فَالقَوْلُ المَعْرُوفُ وَالمَغْفِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي يَتْبَعُهَا أَذًى، لِأَنَّ القَوْلَ المَعْرُوفَ إِحْسَانٌ قَوْلِيٌّ،

وَالمَغْفِرَةَ إِحْسَانٌ أَيْضًا بِتَرْكِ المُؤَاخَذَةِ، وَكِلَاهُمَا إِحْسَانٌ مَا فِيهِ مُفْسِدٌ، فَهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الإِحْسَانِ بِالصَّدَقَةِ الَّتِي يَتْبَعُهَا أَذًى بِمَنٍّ أَوْ غَيْرِهِ.

وَمَفْهُومُ الآيَةِ أَنَّ الصَّدَقَةَ الَّتِي لَا يَتْبَعُهَا أَذًى أَفْضَلُ مِنَ القَوْلِ المَعْرُوفِ وَالمَغْفِرَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ المَنُّ بِالصَّدَقَةِ مُفْسِدًا لَهَا مُحَرَّمًا، لِأَنَّ المِنَّةَ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَالإِحْسَانَ كُلَّهُ للهِ، فَالعَبْدُ لَا يَمُنُّ بِنِعْمَةِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ وَهُوَ لَيْسَ مِنْهُ، وَأَيْضًا فَإِنَّ المَانَّ مُسْتَعْبِدٌ لِمَنْ يَمُنُّ عَلَيْهِ، وَالذُّلُّ وَالاسْتِعْبَادُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا للهِ، وَاللهُ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ عَنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَكُلُّهَا مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ وَالأَوْقَاتِ، فَصَدَقَتُكُمْ وَإِنْفَاقُكُمْ وَطَاعَاتُكُمْ يَعُودُ مَصْلَحَتُهَا إِلَيْكُمْ وَنَفْعُهَا إِلَيْكُمْ

{ وَاللهُ غَنِيٌّ } عَنْهَا، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ { حَلِيمٌ } عَلَى مَنْ عَصَاهُ لَا يُعَاجِلُهُ بِعُقُوبَةٍ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ وَحِلْمُهُ يَمْنَعُهُ مِنْ مُعَاجَلَتِهِ لِلعَاصِينَ، بَلْ يُمْهِلُهُمْ وَيُصَرِّفُ لَهُمُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَيُنِيبُونَ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَلِمَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا تُغْنِي عَنْهُمُ الآيَاتُ وَلَا تُفِيدُ بِهِمُ المَثُلَاتُ أَنْزَلَ بِهِمْ عِقَابَهُ وَحَرَمَهُمْ جَزِيلَ ثَوَابِهِ.

-يَنْهَى عِبَادَهُ تَعَالَى لُطْفًا بِهِمْ وَرَحْمَةً عَنْ إِبْطَالِ صَدَقَاتِهِمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى فَفِيهِ أَنَّ المَنَّ وَالأَذَى يُبْطِلُ الصَّدَقَةَ، وَيُسْتَدَلُّ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ تُبْطِلُ الأَعْمَالَ الحَسَنَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } فَكَمَا أَنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ فَالسَّيِّئَاتُ تُبْطِلُ مَا قَابَلَهَا مِنَ الحَسَنَاتِ، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى { وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } حَثٌّ عَلَى تَكْمِيلِ الأَعْمَالِ وَحِفْظِهَا مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهَا لِئَلَّا يَضِيعَ العَمَلُ سُدًى، وَقَوْلُهُ:

{ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }- أَيْ:

أَنْتُمْ وَإِنْ قَصَدْتُمْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ فِي ابْتِدَاءِ الأَمْرِ، فَإِنَّ المِنَّةَ وَالأَذَى مُبْطِلَانِ لِأَعْمَالِكُمْ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُكُمْ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَعْمَلُ لِمُرَاءَاةِ النَّاسِ وَلَا يُرِيدُ بِهِ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّ عَمَلَهُ مِنْ أَصْلِهِ مَرْدُودٌ، لِأَنَّ شَرْطَ العَمَلِ أَنْ يَكُونَ للهِ وَحْدَهُ وَهَذَا فِي الحَقِيقَةِ عَمَلٌ لِلنَّاسِ لَا للهِ، فَأَعْمَالُهُ بَاطِلَةٌ وَسَعْيُهُ غَيْرُ مَشْكُورٍ، فَمَثَلُهُ المُطَابِقُ لِحَالِهِ { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ } وَهُوَ الحَجَرُ الأَمْلَسُ الشَّدِيدُ { عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ } أَيْ:

مَطَرٌ غَزِيرٌ { فَتَرَكَهُ صَلْدًا } أَيْ: لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ التُّرَابِ، فَكَذَلِكَ حَالُ هَذَا المُرَائِي، قَلْبُهُ غَلِيظٌ قَاسٍ بِمَنْزِلَةِ الصَّفْوَانِ، وَصَدَقَتُهُ وَنَحْوُهَا مِنْ أَعْمَالِهِ بِمَنْزِلَةِ التُّرَابِ الَّذِي عَلَى الصَّفْوَانِ، إِذَا رَآهُ الجَاهِلُ بِحَالِهِ ظَنَّ أَنَّهُ أَرْضٌ زَكِيَّةٌ قَابِلَةٌ لِلنَّبَاتِ، فَإِذَا انْكَشَفَتْ حَقِيقَةُ حَالِهِ زَالَ ذَلِكَ التُّرَابُ وَتَبَيَّنَ أَنَّ عَمَلَهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ، وَأَنَّ قَلْبَهُ غَيْرُ صَالِحٍ لِنَبَاتِ الزَّرْعِ وَزَكَائِهِ عَلَيْهِ، بَلِ الرِّيَاءُ الَّذِي فِيهِ وَالإِرَادَاتُ الخَبِيثَةُ تَمْنَعُ مِنَ انْتِفَاعِهِ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ.

، فَلِهَذَا { لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ } مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا، لِأَنَّهُمْ وَضَعُوهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَجَعَلُوهَا لِمَخْلُوقٍ مِثْلِهِمْ، لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَانْصَرَفُوا عَنْ عِبَادَةِ مَنْ تَنْفَعُهُمْ عِبَادَتُهُ، فَصَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الهِدَايَةِ، فَلِهَذَا قَالَ:

{ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }.

- تَبْصِرَةٌ:

-مَا أَحْوَجَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كَيْ يَنَالَ العَبْدُ بِهَا رِضْوَانَ اللهِ وَثَوَابَهُ إِلَى حِمَايَتِهَا مِنْ أَدْوَاءِ النُّفُوسِ وَرَذَائِلِهَا، وَمِنْ أَبْشَعِهَا إِتْبَاعُ الصَّدَقَةِ المَنَّ وَالإِيذَاءَ.

-لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا المُنْفِقُ عَلَى مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ، وَلَا تَخَفْ فِي الآخِرَةِ عَلَى مَآلِكَ، فَمَا لَكَ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

-أَوْلَى مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي يَتْبَعُهَا الأَذَى كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ تَضْمِدُ جِرَاحَ القُلُوبِ، وَمَغْفِرَةٌ حَسَنَةٌ تَغْسِلُ أَحْقَادَ النُّفُوسِ.

-مَا أَلَحَّ السَّائِلُ عَلَيْكَ إِلَّا وَقَدِ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَيْكَ، فَلَا تُؤْذِهِ بِكَلِمَةٍ جَارِحَةٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ اعْتِذَارَكَ الجَمِيلَ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ تَتْبَعُهُ إِسَاءَةٌ، وَإِحْسَانٍ تُعْقِبُهُ إِهَانَةٌ.

-أَلَا يَعْلَمْ ذَاكَ المَانُّ عَلَى عِبَادِ اللهِ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْهُ وَعَنْ صَدَقَتِهِ؟! وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُهُ بِعُقُوبَتِهِ؟! فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَنْتَهِيَ عَنْ مَنِّهِ، وَيَكُفَّ أَذَاهُ.

-مُرَاعَاةُ نُفُوسِ النَّاسِ وَتَطْيِيبُهَا أَوْلَى مِنْ رِعَايَةِ أَجْسَادِهِمْ وَحَاجَاتِهَا؛ أَلَا تَرَى كَيْفَ بَطَلَتِ الصَّدَقَةُ بِسَبَبِ المَنِّ وَالأَذَى؟!

قَدْ يَجُودُ الكَافِرُ وَيُنْفِقُ طَلَبًا لِلحَمْدِ وَالجَاهِ وَالذِّكْرِ الحَسَنِ، لَكِنَّ إِنْفَاقَهُ لَا يُسَمَّى صَدَقَةً؛ إِذْ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى صِدْقِ الإِيمَانِ.

فِي الإِخْبَارِ بِأَنَّ المَنَّ وَالأَذَى يُحْبِطَانِ الصَّدَقَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الحَسَنَةَ قَدْ تُحْبَطُ بِالسَّيِّئَةِ، فَاحْذَرْ مُحْبِطَاتِ الأَعْمَالِ.

-تَقْرِيبُ المَعَانِي بِالصُّوَرِ وَالتَّشْبِيهَاتِ مِمَّا يُرَسِّخُ القَنَاعَةَ، وَيَزِيدُ اليَقِينَ، وَيَبْعَثُ عَلَى العَمَلِ، فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ.

-القَلْبُ المُقْفِرُ مِنَ الإِخْلَاصِ كَحَجَرٍ أَمْلَسَ عَلَيْهِ تُرَابٌ يَسْتُرُهُ، تَظُنُّهُ أَرْضًا زَكِيَّةً قَابِلَةً لِلإِنْبَاتِ، وَحَقِيقَتُهُ هَبَاءٌ سُرْعَانَ مَا يَزُولُ، وَهَكَذَا عَمَلُ المُنَافِقِ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا ثَوَابَ عَلَيْهِ.

-مَا أَشْقَى مَنْ ضَيَّعَ مَالَهُ بِفَسَادِ نِيَّتِهِ؛ فَلَا هُوَ انْتَفَعَ بِهِ فِي دُنْيَاهُ، وَلَا هُوَ أَحْرَزَ ثَوَابَهُ فِي أُخْرَاهُ!.

- **خَامِسًا: أَثَرُ الإِحْسَانِ لِلفُقَرَاءِ عَلَى الفَرْدِ:**

-لِلْإِحْسَانِ عَلَى الفُقَرَاءِ آثَارٌ يَانِعَةٌ عَلَى المُحْسِنِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) طَهَارَةُ النَّفْسِ:

-الإِحْسَانُ لِلفُقَرَاءِ يُطَهِّرُ قَلْبَ الغَنِيِّ مِنَ الشُّحِّ وَالبُخْلِ وَحُبِّ المَالِ المُفْرِطِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.(التَّوْبَة:١٠٣)، قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ، آمِرًا لَهُ بِمَا يُطَهِّرُ المُؤْمِنِينَ، وَيُتَمِّمُ إِيمَانَهُمْ:

{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً } وَهِيَ الزَّكَاةُ المَفْرُوضَةُ، { تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } أَيْ: تُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ كَالبُخْلِ وَالشُّحِّ.

{ وَتُزَكِّيهِمْ } أَيْ: تُنَمِّيهِمْ، وَتَزِيدُ فِي أَخْلَاقِهِمُ الحَسَنَةِ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَتَزِيدُ فِي ثَوَابِهِمُ الدُّنْيَوِيِّ وَالأُخْرَوِيِّ، وَتُنَمِّي أَمْوَالَهُمْ ، وَادْعُ لَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ مِنْهَا، إِنَّ دُعَاءَكَ وَاسْتِغْفَارَكَ رَحْمَةٌ وَطُمَأْنِينَةٌ لَهُمْ. وَاللهُ سَمِيعٌ لِكُلِّ دُعَاءٍ وَقَوْلٍ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ العِبَادِ وَنِيَّاتِهِمْ، وَسَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

(٢) السَّعَادَةُ النَّفْسِيَّةُ:

-يَمْنَحُ المُتَصَدِّقُ شُعُورًا عَمِيقًا بِالرِّضَا وَالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ.

(٣) البَرَكَةُ وَالرِّزْقُ:

-الإِحْسَانُ إِلَى الفُقَرَاءِ يَجْلِبُ البَرَكَةَ فِي المَالِ وَيُعَوِّضُ المُعْطِي أَضْعَافًا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.(البَقَرَة:٢٦١)

هَذَا بَيَانٌ لِلمُضَاعَفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي قَوْلِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَهُنَا قَالَ:{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أَيْ

: فِي طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَأُولَاهَا إِنْفَاقُهَا فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ } وَهَذَا إِحْضَارٌ لِصُورَةِ المُضَاعَفَةِ بِهَذَا المَثَلِ، الَّذِي كَانَ العَبْدُ يُشَاهِدُهُ بِبَصَرِهِ فَيُشَاهِدُ هَذِهِ المُضَاعَفَةَ بِبَصِيرَتِهِ، فَيَقْوَى شَاهِدُ الإِيمَانِ مَعَ شَاهِدِ العَيَانِ، فَتَنْقَادُ النَّفْسُ مُذْعِنَةً لِلإِنْفَاقِ سَامِحَةً بِهَا مُؤَمِّلَةً لِهَذِهِ المُضَاعَفَةِ الجَزِيلَةِ وَالمِنَّةِ الجَلِيلَةِ، { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ } هَذِهِ المُضَاعَفَةَ { لِمَن يَشَاءُ } أَيْ:

بِحَسَبِ حَالِ المُنْفِقِ وَإِخْلَاصِهِ وَصِدْقِهِ وَبِحَسَبِ حَالِ النَّفَقَةِ وَحِلِّهَا وَنَفْعِهَا وَوُقُوعِهَا مَوْقِعَهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ } أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ المُضَاعَفَةِ { لِمَن يَشَاءُ } فَيُعْطِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } الفَضْلُ، وَاسِعُ العَطَاءِ، لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يُحْفِيهِ سَائِلٌ، فَلَا يَتَوَهَّمُ المُنْفِقُ أَنَّ تِلْكَ المُضَاعَفَةَ فِيهَا نَوْعُ مُبَالَغَةٍ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْقُصُهُ العَطَاءُ عَلَى كَثْرَتِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ { عَلِيمٌ } بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ المُضَاعَفَةَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَيَضَعُ المُضَاعَفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

(٤) الوِقَايَةُ مِنَ البَلَاءِ:

-الإِحْسَانُ إِلَى الفُقَرَاءِ يَدْفَعُ عَنِ الإِنْسَانِ السُّوءَ وَالمَكْرُوهَ وَيَحْفَظُهُ مِنَ المَصَائِبِ ،

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي المُعْجَمِ الأَوْسَطِ بِرَقْمِ(٦٠٨٦) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

:

{ صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خُفْيَةً تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي العُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ، وَأَهْلُ المُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ }.،

-وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي التَّرْغِيبِ فِي فَضَائِلِ الأَعْمَالِ بِرَقْمِ(٣٨٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي العُمْرِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ }.

• سَادِسًا: أَثَرُ الإِحْسَانِ لِلفُقَرَاءِ عَلَى المُجْتَمَعِ:

-لِلْإِحْسَانِ عَلَى الفُقَرَاءِ آثَارٌ يَانِعَةٌ عَلَى المُجْتَمَعِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) التَّكَافُلُ الاجْتِمَاعِيُّ:

-الإِحْسَانُ لِلفُقَرَاءِ يُقَوِّي أَوَاصِرَ المَحَبَّةِ وَالأُلْفَةِ بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ وَالفُقَرَاءِ.

(٢) القَضَاءُ عَلَى الجَرِيمَةِ:

-الإِحْسَانُ لِلفُقَرَاءِ يُقَلِّلُ مِنْ نِسَبِ السَّرِقَةِ وَالحَاجَةِ وَالبَطَالَةِ وَالانْحِرَافِ.

(٣) إِزَالَةُ الضَّغِينَةِ:

-الإِحْسَانُ لِلفُقَرَاءِ يَنْزِعُ الحِقْدَ وَالحَسَدَ مِنْ قُلُوبِ الفُقَرَاءِ تُجَاهَ الأَغْنِيَاءِ وَيَحِلُّ مَحَلَّهَا الوُدُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.(فُصِّلَتْ: ٣٤-٣٦).

(٤) تَمَاسُكُ البُنْيَانِ:

-يَحْمِي المُجْتَمَعَ مِنَ التَّفَكُّكِ وَالانْهِيَارِ الاقْتِصَادِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ ، يُعَدُّ الإِحْسَانُ وَسِيلَةً لِاسْتِمْرَارِ تَقَدُّمِ النَّوْعِ البَشَرِيّ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى رُقِيّ المُجْتَمَعِ وَتَقَدُّمِهِ، وَذَلِكَ لِفَضْلِ الإِحْسَانِ فِي تَوْثِيقِ العَلَاقَاتِ المُجْتَمَعِيَّةِ وَتَعْزِيزِ رُوحِ التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ.

• فَلْنَحْرِصْ، عَلَى إِحْيَاءِ هَذِهِ العِبَادَةِ العَظِيمَةِ، عِبَادَةِ الإِحْسَانِ إِلَى الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ ، الَّتِي تَسَابَقَ إِلَيْهَا الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ، وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَلْنُبَادِرْ إِخْوَانَنَا الفُقَرَاءَ وَالمَسَاكِينَ بِالسَّلَامِ، وَلْنَسْأَلْهُمْ عَنِ الأَهْلِ وَالعِيَالِ، وَأَنَّنَا نُحِبُّ لَهُمْ مَا نُحِبُّ لِأَنْفُسِنَا، وَأَنْ نَبْذُلَ مِنْ أَمْوَالِنَا لِسَدِّ حَاجَاتِهِمْ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ ، فَهَذَا هُوَ الإِسْلَامُ الصَّحِيحُ، فَإِنَّ الدِّينَ المُعَامَلَةُ.

• رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَرْزَاقِنَا ، وَآتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ،

أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَحْفَظَ بِلَادَنَا وَبِلَادَ المُسْلِمِينَ مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ وَعَبَثِ العَابِثِينَ، وَأَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَى المُسْلِمِينَ بِعِزِّ الإِسْلَامِ وَنَصْرِ المُسْلِمِينَ ، اللهمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أَمْرِنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَيَسِّرْ لَهُمُ البِطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ ، اللهمَّ ارْفَعْ عَنَّا الغَلَا وَالوَبَا، وَالرِّبَا وَالزِّنَا، وَالزَّلَازِلَ وَالمِحَنَ، وَسُوءَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ عَنْ بَلَدِنَا مِصْرَ خَاصَّةً وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ المُسْلِمِينَ عَامَّةً يَا رَبَّ العَالَمِينَ ،

اللهمَّ اغْفِرْ لِلمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ. اللهمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

• كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أَبُو أَحْمَدَ سَيِّدُ عَبْدُ العَاطِي بْنُ مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

والنشر الإلكتروني